مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

ثلاثة أخطاء إستراتيجية للسياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق

موقع «فرارو» باللغة الفارسية

ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

ثلاثة أخطاء إستراتيجية للسياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق الدروس التي يجب تعلمها من استخدام السلطات العراقية لمفردة الخليج «العربي»

موقع «فرارو» باللغة الفارسية

يجب الالتفات قبل أي شيء أنَّ عراق 2023 ليس عراق 2014 حينما كان يقارع داعش الإرهابي، فالعراق الجديد في طريقه للعودة إلى دوره الريادي التاريخي في المنطقة والخارطة الجيوسياسية، وإن لم يكن مسير الممر العربي أهم لهم فإنَّه لا يقل أهمية عن العلاقة مع إيران.

ومن هنا ممكن تقييم استخدام كلمة الخليج العربي ميدانياً والتأمل بها، كظاهرة غير عجيبة وغير صحيحة أيضاً، وقد أثارت بطولة الخليج العربي (25) -كما يحلو للبلدان العربية تسميتها- جدلاً واسعاً وردوداً كثيرة داخل الأوساط الإيرانية، لا سيَّما بعد استخدام تلك المفردة من قبل شخصيات بارزة كرئيس الوزراء «محمَّد شياع السوداني»، وزعيم التيار الصدري السيد «مقتدى الصدر»، وقد حمل هذا الملف في طياته اهتماماً واسعاً، خصوصاً بعد أن سُئِلَ السوداني في زيارته الأخيرة إلى ألمانيا من قبل قناة «دويجه وله كه» عمَّا إذا كان الخليج عربياً أم فارسياً، إذ أجاب: «إنَّ دول الخليج العربي واقع حال، ولا نريد الخوض بهذه التفاصيل، حيث يسعى بعضهم إلى تعكير صفو الأجواء، وتأزيم المواقف».

ووَفْق وكالة «فرارو» أنَّه فضلاً عن الإشكالية المفتعلة من السوداني والصدر هناك طوابع بريدية انتشرت مؤخراً في العراق تحمل اسم «الخليج العربي»؛ ممَّا أثار حفيظة الشارع الإيراني في الداخل.

أُقيمت بطولة كأس الخليج في الشهر الماضي في العراق والبصرة تحديداً، بحضور (8) فرق، وهي كل من البلد المضيف، والسعودية، والإمارات، والبحرين، والكويت، وقطر، واليمن، وسلطنة عمان، إذ تمخَّض عنه توجيه الإهانة من الاتحاد العراقي لكرة القدم وحكومته وبمباركة السعودية والفيفا، وكذلك مسؤول الاتحاد الخليجي استخدم كلمة «الخليج العربي»، والأهم من ذلك مفكرة الفيفا الخاصة أيضاً ذكرت «الخليج العربي»، فضلاً عن رئيس إمبراطورية كرة القدم السيد «إنفانتينو» حذا حذوهم أيضاً، الشيء الذي جوبه برفض شعبي واستياء شديدين.

ومع اعتراض الجانب الإيراني لم يبدِ العراق أي استعداد لتقديم أي اعتذار إلى الآن، وفي مثل تلك المواقف ممكن أن يتصوَّر أنَّ العراق عازم على إستراتيجية جديدة تحمل طابع الابتعاد عن الحضن الإيراني، بل يذهب بعض المراقبون إلى طابع الخيانة بإيران، عادِّين ما حصل هو علامة لتدهور العلاقات، وتوجه العراق نحو الدائرة المعادية لإيران والتابعة لدول مجلس التعاون الخليجي.

وأمَّا خلاف للاستدلالات التي سلفت فإنَّها لم تكن خاطئة فقط، بل كانت ناتجة من أخطاء رئيسة في السياسة الخارجية، ومن نوع رؤية الفكر الإيراني عموماً للعلاقات الإيرانية العراقية، وإنَّ القضية الأخيرة لم تكن شيئاً عجيباً، بل معطوفة على سوابق تاريخية، والتي لا يمكن فهمها إلا في سياق الحقائق الجديدة للسياسة والحكم في العراق، ولإثبات هذه النظرية يمكن التطرق لثلاثة أخطاء إستراتيجية بالنظر إلى البنية السياسية، والاجتماعية العراقية في مستوى المحافل السياسية العامة.

1. الفهم الخاطئ للتحالف الإستراتيجي بين الجانبين

كان الحديث الإيراني وتوجهه -في عهد ما بعد 2003 وإلى الآن- منصباً على التحالف الإستراتيجي مع العراق، فيما عُزِّزَتِ الإستراتيجية ما بعد خروج القوات الأميركية بعد 2011، بعد أن أخذ أبعاداً ملموسة أخرى بعد القضاء على داعش، حتى أخذت الخارجية الإيرانية تصف العراق كحليف إستراتيجي في المنطقة.

أمَّا الاستياء الشعبي الإيراني الواسع من استخدام مفردة الخليج العربي فقد كان واحداً من نتاجات تلك السياسة الخاطئة تجاه العراق، بمعنى أنَّ الأمر لم يعد مقبولاً للسياسيين وعموم المجتمع بأن يتبنَّى حليفاً إستراتيجياً، وهي مبادئ خادشة لأهم المتبنيات الإيرانية.

وللخوض بهذا الموضوع يجب تعريف مفهوم الإستراتيجية في العلاقات الدولية تعريفاً محدوداً، ولكن شاملاً، وسنعرف من محتواه إلى أي حدٍّ كانت النظرة مبنية على خطأ حول التحالف بين إيران والعراق.

يطلق على التحالف الإستراتيجي -في قاموس العلوم السياسية- بأنَّه التقارب أو التعاون بين طرفين أو أكثر، وتكون أهدافهم مشتركة من حيث المصالح، والتوجُّه السياسي، والتعامل مع التهديدات، وللارتقاء بالعلاقة بين الطرفين يجب تحقُّق الشفافية، وعدم التعارض بوجهات النظر، والتعاون الاقتصادي المشترك، وردع التهديدات الأمنية المحتملة، وهذه من أولويات صناع القرار لكلا البلدين.

غالباً ما يعقد الجانبان اتفاقيات بطابع أمني واقتصادي وعسكري، ويجب الالتفات إلى أنَّ مقدمات إيجاد تحالف إستراتيجي بين البلدين مهيئة، إلا أنَّه يُعدُّ البلدان حليفين إستراتيجيين نوعاً من المبالغة والاستعراض، فمع اتساع دائرة العلاقات والتعاون بين طهران وبغداد في العقدين الأخيرين، إلا أنَّه لا يمكن أن تقاس بالعلاقة بين أميركا وأوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث الأهداف المشتركة، ومواجهة التهديدات المحتملة، والحفاظ على المكاسب.

توجد فوارق عميقة بين الطرفين في البيئة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، إذ توجد اختلافات جمة في مجال المصالح والسياسات الوطنية، لذا -وفي ظل التضارب الحاصل- فإنَّ الحديث عن تحالف إستراتيجي أمر مبالغ فيه، ومخالف للواقع الحالي، أي: إنَّ الفوارق عميقة بين طهران بهُويتها الفارسية الإيرانية، وبغداد بهُويتها العربية العراقية.

2. الفهم الخاطئ للمجتمع متعدد الهُوية وواقع عراق 2023

إنَّ أحد الأخطاء الجسيمة التي وقعت بها السياسة الخارجية والأفكار العامة الإيرانية هي النظرة الخاطئة للحكم في العراق، كما عدم الفهم الصحيح للنفوذ، وتأثير الهُويات المقسَّمة لسياسة العراق الخارجية بعد 2003، فمنذ تشكيل الدولة العراقية عام 1921 عرفت بتعدد هُوياتها كالعرب، والكرد، والتركمان، والآشوريين، والمسيح، إذ تشكَّلتِ الحكومة بعد 2003 على أسس قومية وطائفية (محاصصاتية).

وكان لهُويات التعددية في العراق أثرها الواضح على التوازن في السياسة الخارجية للبلاد، بمعنى أنَّ لكل طائفة أو هُوية أكثر من توجُّه سياسي، فكان للسنة مثلاً مجموعة تُفضِّل التقرُّب من أميركا، والأخرى تُفضِّل إيران، والأمر كذلك للشيعة، وهذا الأمر طالما سبَّب التوازن في السياسة الخارجية للبلد، لذا نرى من الواضح أنَّ أقرب حلفاء إيران حينما كانوا على أعلى هرم السلطة في العراق حريصون على التوازن بسياسته الخارجية بدلاً من اللجوء للحضن الإيراني، لذا يجب الالتفات إلى أنَّ العراق ذو طوائف وقوميات متعددة، وتعامله مع إيران يكون بقدر تعامله مع العرب وأميركا.

إنَّ تقديم أي تفسير مثالي عن المجتمع العراقي، ووصفه بأنَّه دولة معادية لأميركا، ودول مجلس التعاون الخليجي، ليس تفسير خالياً من المصداقية فحسب، بل تحريف للفكر الإيراني عموماً، فالطبقة الأوسع بين الكرد كانت وما زالت تميل إلى السياسات والثقافة الغربية والأميركية، ويوجد قسم من العرب السنة يميلون إلى أميركا ودول الخليج، وهذا ما ذهب إليه جزء من الشيعة أيضاً.

ولا يهم ما إذا كان السيد المالكي أو السوداني أو الفياض أو حتى العامري في السلطة كشخصيات حليفة لإيران، أو شخص مقرب من أميركا مثل مصطفى الكاظمي؛ لأنَّ بغداد سلكت طريق الاستقلال والتوازن في سياستها الخارجية، فالهُوية العراقية لا يمكن تجاوزها بسهولة من قبل المجتمع، أو القيادات المقربة من إيران.

إنَّ الاعتقاد السائد بأنَّ الحكومة العراقية تحت قبضة إيران، ولن يجرأ أحد حتى على شرب الماء من دون علمهم، هو خطأ إستراتيجي مردَّه السلبي أكثر من إيجابياته، حتى مع الأدلة التي تدل على أنَّ إيران اللاعب الأول في المشهد العراقي؛ لأنَّه يستطيع أن يمهِّد لإنشاء خط مناهض لإيران، وبعبارة أيسر (كل عمل مقتدر يكون مصاحباً لعمل مقاوم).

لا يخفى على أحد أنَّ إيران لها نفوذها الثقافي والمعنوي الخاص في العراق، وحتى عدَّ بعضهم أنَّ التحدُّث بالعربية، وبلكنة فارسية افتخار، أمَّا الآن فعراق 2023 ليس عراق 2012. 2018 أيام مقارعة داعش، فالعراق الجديد بصدد رجوعه إلى الريادة المحورية الجيوسياسية في المنطقة، وإن لم يكن المحيط العربي مهماً له، فهو ليس أقل من المحيط الإيراني، وبالنظر والتأمل في الواقع الميداني يمكن عدِّ مفردة الخليج العربي كظاهرة غير غريبة، وغير صحيحة.

3. يجب أن يكون العراق ممتناً ورفيقاً لإيران

إحدى الأفكار الخاطئة التي تسود الفكر الإيراني عموماً، هي: يجب أن يكون العراق ممتناً لإيران، وأن يبقى رفيقاً لها على الدوام؛ لأنَّ طهران هي مَن ساعدته بحربه على داعش، وقدَّمت له العون، كما أنَّ المنطق الأخلاقي يراه صحيحاً إلى حدٍّ ما؛ لأنَّ إيران لم تتردَّد بمد يد العون، وهذا ما أثار حفيظة الإيرانيين بعد إقامة خليجي (25) في البصرة، وقد يصفه بعضهم بالخيانة.

لكن في إطار رؤية واقعية لا ينطبق هذا الاستدلال مع الواقع التاريخي للعلاقات الدولية، فتاريخ العلاقات الدولية مليء بالتحالفات التي تتحوَّل إلى عداوات، فأميركا التي أنقذت أوروبا الغربية من مخالب الاتحاد السوفيتي، ليس بالضرورة أن تتبنَّى أوروبا جميع سياسات واشنطن.

حقيقة الأمر أنَّ عالم السياسة ليست ساحة لتجديد المبادئ، بل هو عالم خاضع للتغيير المستمر على وَفْق الظرف والمناخ السياسي، من شأنه تحديد موقف اللاعب السياسي.

اللقمة التي ليست سائغة وضرورة عدم التغريد خارج السرب

ليس من المناسب –حالياً– التركيز على أنَّ العراق لا ينبغي له أن يصطف بجانب الرؤية العربية الخليجية، بل المهم هو: كيف لطهران أن تتعامل مع أهم شريك اقتصادي، وأهم مستورد غير نفطي لها في المنطقة؟ وكيف تستطيع أن تحافظ على نفوذها في العراق ما بعد 2023؟

فالواقع يقول إنَّ اللاعب السياسي لم يعد مكتوف الأيدي؛ لينتظر الموقف الإيراني، بل أي لاعب سياسي يمتلك إستراتيجية خاصة سيكون له دور أكبر بمستقبل العراق، فعلى سبيل المثال لم تتحقق رؤية حجم الصادرات إلى العراق بمقدار (20 مليار$) فحسب، بلِ انخفضت لتصل إلى (10$)، في حين ارتفع التبادل التجاري للعراق مع تركيا، والسعودية، والإمارات، وحتى أميركا في السنوات الأخيرة.

وفي المشهد السياسي ليس من الصحيح الاعتقاد أنَّ البساط الأحمر سيفرش تحت أقدام إيران، وكما هو محتمل جداً، وبأي لحظة حصول تقارب بين بغداد أو أربيل والمحيط الخليجي، فلا يمكن فهم الواقع الجديد برؤية حساسة وتداخل القيم، ومن ثَمَّ فإنَّ استخدام ساسة العراق لمفردة «الخليج العربي» لن تشكِّل هزة أو صعقة تعصف بالعلاقات الثنائية، بل من شأنه أن يشكِّل دفعة لإعادة النظر في الفهم الواقعي والميداني لمجتمع العراق.

رابط المقال الأصلي: https://tinyurl.com/2hy2jz8y